موعدٌ... مع الامل والحياة

الاب لويس قصّاب

عجيبة هذه الحياة، اصبح الناس فيها مجرّد تماثيل تتحرك بدون مشاعر.. بدون احاسيس حتى ولا قلبٌ ينبضُ فيها.. اصبح القلب مجّرد مضخّة للدم لا اكثر.. اصبحت هذه الحياة مليئة بالكذب والخداع.. والابتسامة الزائفة. اصبحت من اهم وسائل الوصول الى الاهداف غير عابئين بمشاعر الاخرين في زمنٍ اصبح كلّ شئ بارداً وجافاً لا نشعر بدفئه وحنانه.. في زمنٍ اصبحت ينابيع الارض تذرف دموعا بدلا من الماء العذب حزناً وألماً على الالوان الزائفة التي تطفو على وجه الارض، وسرعان ما تتبدّل هذه الالوان حسب رغبة كلّ شخص الى اللون الذي يريد.. الالوان باهتةٌ وكئيبةٌ وحزينةٌ بسبب عدم الصدق في التعامل مع الالوان، اصبحنا نرفض الالوان الطبيعية الصادقة المعبّرة عما يجول في انفسنا بصدقٍ واخلاص.

هذه الحياة.. ابكتني فيها الخطوب.. ادمعت عينيّ.. قتلت قلبي ورمته بسهم الاحزان.. كلّ شئ يبدو لي غريباً في هذه الدنيا.. والشوارع تبدو غريبة.. الاحياء القديمة التي كنت اعرفها حيّاً حيّاً لم اعد اطيق النظر اليها.. جدرانها تبدو لي وكأنها قضبان سجن مميت.. اشجارها.. زهورها تبدو وكأنها اشباح تحاول النيل مني.. وزقزقة العصافير بتّ لا اطيق سماعها وكأنها اجراس الموت بنهار شؤم.. مزّقتني الخطوب وابعدتني عن الم الحياة فبتّ اسير في طريق لا يسكنه بشر ولا تُسمع فيه الاّ أصوات المسحوقين.. طريقٌ يبعد مسافات ومسافات عن عالم الاحياء: إنه عالمي انا العالم المجهول!

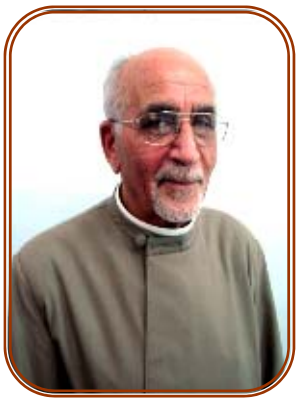

طريق الامل هو الحياة:

قد تتهادى الامواج، وتسكن العواصف وتهدأ الرياح.. وتشرق الشمس بأشعتها الذهبية المليئة بالحيوية والمفعمة بالحب والامل.. ولكن لا تُهدي انساناً فَقَد نفسه.. ولا تزيل الدمعة من احداقه.. ومع كلّ ذلك تتفجّر لديه كلّ الطموحات. وذلك للحظة امل.. فالامل هو الحياة.. والحياة بدونه روتين ممل وصحراء ملتهبة بكلّ ما تحمل من قسوة الم وعذاب..

الامل هو النور الذي يسعى اليها الجميع وهو الشمس التي تتجدّد بتجدّد أيامنا، ولكنّه ينتهي بنهاية العالم.. عندما ننتقل الى دنيا اخرى وحياة اخرى إمّا نكون فيها سعداء

في الجنة، واما جهنم فقد توعدت للاشرار بالعذاب والمرارة بلوعتها، فليس بعدها شئ يذهب اليها الاشرار الى غير عودة وهو حكم لا استئناف له، فالنعيم نهائي للاخيار، والجحيم نهائي للاشرار اذا تخلّو عن جمال الروح والانسانية.. فليس اقسى ولا اعنف ممّا يلقاه الانسان في حياته مع الناس!.

فمجرد ان يكون الانسان على مرأى من انسان اخر، فالجحيم تنسجه عيون الناس للناس، يكفي ان يراك احد.. يكفي ان ينظر اليك ويلعنك في سرّه او يحقد عليك او يطمع فيك او يكيد لك.. يكفي ان يملك الانسان بيديه كنوز الدنيا وينسى قطرة الخير والصدق والمحبة التي كرّمنا ايّاها الله ويكتسب كلّ ما في الدنيا من حقد وانانية.

احيانا تقابل شخصاً فيعجبك بطلّته البهية ووجهه الندي فتشعر ببهجة ومسّرة واطمئنان في لقائه والتحدّث اليه وما ان تقترب منه حتى يلسعك ببرودة لقائه وجفاف روحه، وحينها تتغيّر نظرتك اليه وتجده انساناً فاتراً خيّم الجفاف على روحه وقلبه، وجفف الملل والروتين كلّ مشاعره كشجرة سقطت اوراقها خريفاً ويبست اغصانها واصفرّت، فيخذلك ويخيّب املك فتشعر بأسى وحزن وتتأسف عليه لانه رمى نفسه بجحيم الدنيا وحرم نفسه السعادة والطراوة. فلماذا لا نسقي نفوسنا التي ارهقها العمل والروتين القاتل ونجدّدها بالامل والتفاؤل!.. لماذا لا نضخّ الحياة والبهجة ونرسمها على الوجوه التي اثقلتها الدنيا اعباءً وطوّقتها حزناً وتعاسة وامتصت منها البهجة حتى اخر رمق!..

لماذا لا ناخذهم للجانب الوردي المضئ الذي غفلت عيونهم عن رؤيته، ففي تقديم وردة بهجة، والتحية سعادة.. وكما قيل: "ليس المهم ان تعرف كيف تذرف الدموع من العيون ولكن المهم ان تعرف كيف تمسح هذه الدموع!

مع اشراقة شمس كلّ صباح، تمتدّ اشعتها الذهبية لتداعب جفوننا باشراقتها.. وتفتح عيوننا على امل وحب يوم جديد مع هذه الحياة، تصحو الازهار من غفوتها فتنتعش بندى الصباح.. وتحتضن السماء الزرقاء الصافية ابناءها الطيور، لتدعها ترفرف بين ذراعيها، لتحيي فيها روح المرح والحركة.. وتتلألأ الانهار والجداول بنور تلك الشمس.. وتنساب لتضيف كل الورود فتزهو بألوانها..وتزهو الاشجار بخضرتها.. وترشف ارباب الطفولة بالحياة

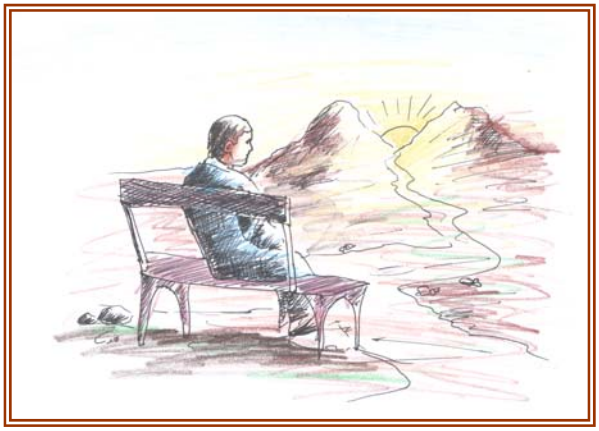

المفعمة بالفرح.. وتضفي على كلّ الكبار صفاءً ونقاءً فتسمو ارواحهم.. وترتسم عندها على شفاهنا الابتسامة الجميلة، التي حملت كلّ ذلك الرونق والجمال.. وتحيا قلوبنا بالمشاعر وترهف فينا كلّ الاحاسيس.. الشمس تشرق كلّ صباح، ونحن كلّ يوم معها على موعد مع الحياة.. والفرحة ستصل قلوبنا للابد.. فلننتظرها مع شمس كل صباح!